شواهد الاستيطان المبكر لمدة ما قبل التاريخ في اليمن

الأستاذ الدكتور أسامة كاظم عمران الطائي **الباحثة: سرى حسن حاتم**

المستخلص

تعد دراسة المسح الأثري من الدراسات المهمة في حقل الآثار، فهو يساعد على فهم الظروف التي أدت إلى التوزيعات المكانية وما هي المحددات التي تشكلت منها أنماط الاستيطان المختلفة، وما هي أسباب التباين والاختلاف بالأحجام بين المواقع الأثرية في المنطقة نفسها، كل هذه الأسئلة من الممكن أن تجيب عنها الممسوحات الأثرية الواسعة، وهي غير مكلفة مادياً مقارنة بأعمال التنقيب الأثري التي تحتاج إلى تمويل مادي كبير للتوصل إلى النتائج المرجوة، لكن تبقى هناك حاجة ملحة إلى أعمال تنقيب أثري لدراسة الطرز المعمارية والأدوار الحضارية والنصوص الكتابية القديمة، ولكل حقل من حقول البحث الأثري سواء التنقيب أم المسح الأثري اثر مهم، لذلك لم يكن المسح الأثري كما كان عليه في مراحله الأولى، إذ تطورت أساليبه ومنهجيته شيئاً فشيئاً، وصار يعتمد أساساً على الغرض أو الهدف منه، ويختلف المسح الأثري الذي يسبق التنقيب في موقع معين عن المسح الذي يتتبع أنماط الاستيطان أو أشكال أخرى من النشاطات البشرية، التي تظهر واضحة في المناظر الطبيعية أو دراسة التفاعل بين السكان القدامى وبيئتهم الطبيعية أو معاينة مدى تأثير الأنهار في تشكيل المظهر النهائي للتوزيع البشري. لذلك تتبع أنماط الاستيطان وانتشارها والعوامل التي أدت إلى قلة التوزيع البشري في مرحلة ما، وكثافة تلك التوزيعات في المنطقة نفسها في العصور المختلفة.

Evidence of early prehistoric settlement in Yemen

Prof. Dr. Osama Kazem Imran Al-Taie **Soraa Hasan Hatem**

Abstract:

The study of archaeological survey is one of the important studies in the field of archeology, as it helps to understand the conditions that led to the spatial distributions and what are the determinants of which the different settlement patterns were formed, and what are the reasons for the discrepancy and the difference in sizes between the archaeological sites in the same area, all these questions can be Extensive archaeological surveys answer them, and they are financially inexpensive compared to archaeological excavations that require large financial funding to reach the desired results, but there remains an urgent need for archaeological excavations to study architectural styles, civilizational roles and ancient written texts, and for each field of archaeological research, whether Excavation or archaeological survey has an important role, so the archaeological survey was not the same as it was in its early stages, as its methods and methodology developed little by little, and it depended mainly on the purpose or goal of it, and the archaeological survey that precedes the excavation of a particular site differs from the survey that tracks settlement patterns Or other forms of human activities, which are evident in the landscape, or the study of the interaction between ancient inhabitants and their natural environment, or the observation of the influence of rivers in shaping the final appearance for human distribution. Therefore, it follows the patterns of settlement and its spread and the factors that led to the lack of human distribution at some point, and the intensity of those distributions in the same region during different ages.

المقدمة:

درج علماء الآثار على تسمية عصور ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية ,لأن معظم الآلات والأدوات في تلك العصور كانت من الحجارة بالدرجة الأولى والقليل منها كان يصنع من الخشب والعظام والقرون والعاج والأصداف، وتعارف

العلماء على تقسيم هذه العصور إلى ثلاثة عصور رئيسة هي العصر الحجري القديم والعصر الحجري المتوسط والعصر الحجري الحديث[١] ، واستمرت صناعة الآلات الحجرية في بداية عصر تصنيع النحاس، لذلك نستنتج هذه التقسيمات أنماط الاستيطان في الدول المختلفة، أنماط الاستيطان في اليمن، وقد مرت الجماعات البشرية في عصور ما قبل التاريخ بمرحل عدة، ويعد التنقل المتواصل لهذه الجماعات عبر الفترات المبكرة من عصور ما قبل التاريخ أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى نجاحها في الحصول على الموارد الغذائية الكافية، والبحث عن البيئة المناسبة التي تتوفر فيها مقومات للحياة والأمن الغذائي، وهناك من يشير إلى ان تحقيق هذا الهدف كان يتطلب من المجموعة أن يكون عددها قليلاً نسبياً ليسهل تأمين احتياجات المجموعة والمحافظة على سلامتها من المخاطر الطبيعية، ومن خطر الحيوانات المفترسة، والجماعات البشرية الأخرى[٢].

ولعل أنسب طريق لتتبع هذا التطور هو ما توصل إليه علماء التاريخ والآثار حيث كشفوا وحللوا لنا رسوم الكهوف وصور الصخور التي تظهر الإنسان وهو يطارد الحيوانات ويقتنصها، إذ صيد الحيوانات من أجل الحصول على القوت الضروري أهم أهداف مجموعات الصيادين وجامعي الغذاء في أزمنة عصور ما قبل التاريخ[٣]، ونظرا إلى بساطة النمط المعيشي للجماعات البشرية في الفترات المبكرة من الحضارة البشرية فقد عمد الإنسان إلى استغلال ما كان يتوفر في بيئته من موارد طبيعية، فاستخدم مادة الحجر والخشب وعظام وقرون وأنياب الحيوانات والقواقع وغيرها من المواد التي تدخل في صناعة ما كان يستخدمه من أدوات في سبيل الحصول على قوته اليومي، أو للدفاع عن نفسه وعن مجموعته من خطر أخيه الإنسان وشراسة بعض الحيوانات والزواحف، أو لتهيئة الأماكن التي كان يلجأ إليها هروبا من قسوة المناخ[٤]، وقد ركزت الجماعات البشرية في صناعة أدواتها على مادة الحجر ويعود السبب في ذلك إلى توفر هذه المادة في كل المواقع الاستيطانية، بالإضافة إلى كثرة الاستخدامات المتعددة للحجر من ناحية وقدرته على مقاومة الظروف البيئية المختلفة من ناحية أخرى، وهذا بخلاف المواد العضوية التي تتحلل وتندثر قبل أن تتريب في طبقة أثرية. ومن هنا شكلت مادة الحجر العنصر الأساسي لدراسة عصور ما قبل التاريخ، إذا أنها المادة الرئيسية التي يعتمد عليها علماء عصور ما قبل التاريخ في تصنيف حضارات العصور الحجرية، ولذلك نسبت هذه العصور إلى هذه المادة الفعالة التي كان لها أثر بارز في تطوير الحضارات البشرية المختلفة[٥].

ولم يقف إنسان تلك الأزمنة عند ذلك الحد، ، فقد صور الإنسان في تلك الرسوم ، صوراً متعددة من الطقوس الدينية وتبجيل المعبودات، ووضع الإنسان فيما بعد إلى جانب رسوماته على واجهات الصخور تفاصيل ومشاهد مما كان يعتريه من لحظات الحزن والفرح، ونمضي مع نشاط الإنسان الأول، ومع علماء عصور ما قبل التاريخ الذين أبانوه لنا سواء عن طريق تفسيرهم للرسوم الصخرية أم عن طريق ما استخرجوه لنا من باطن الأرض من بقايا عظام كشفت عن أنواع الحيوانات التي تمكن الإنسان من تدجينها، أو بقايا من أنواع النباتات التي استطاع استنباتها. فأحدث بعمله هذا انقلاباً جذرياً في طبيعة العلاقة بينه وبين بيئته، وتمثل ذلك في التحول –أي الانتقال–من مرحلة الصيد وجمع الغذاء إلى مرحلة إنتاج وتوفير غذائه، إذ أصبح الإنسان منتجا ولم يعد عالة على الطبيعة كما كان الوضع في السابق[٦]، وكان من نتائج هذا التطور أو الطفرة الحضارية أن اهتدى الإنسان مع بداية العصر الحجري الحديث إلى بداية حرفة الزراعة التي ترتب على الاشتغال بها الاستقرار وزيادة التماسك بين الأفراد والجماعات في إطار الأسرة ثم القبيلة ثم القرية. ومن نتائج هذه التحولات الحضارية أيضا ظهور حرفة الرعي بعد أن نجح الإنسان في تدجين وتربيتها [٧]،

أن الحدث الأهم في حياة الإنسان الأول هو نجاحه في توظيف عقلة مما أدى إلى اكتشاف النار، ثم توالت اختراعاته واكتشافاته. فبعد أن كان يصنع في الحجر والخشب أسلحته التي كان يستخدمها في مطاردة فرائسه، وفي صنع غذائه، وفي قتل عدوه، أفلح في التعرف على معدن النحاس، ثم بعد ذلك كيف يخلطه بالقصدير ليصنع سبيكة من البرونز أسلحته وأدوات استخدامه [٨]، لذلك قسم الفصل إلى :

أولا: العصر الحجري القديم (حوالي٢.٠٠٠ –٨.٠٠٠ ق. م)

ثانيا: العصر الحجري الحديث (٨. –٣٥٠٠ ق.م تقريبا)

أولا: العصر الحجري القديم (حوالي٢.٠٠٠ -٨.٠٠٠ ق. م)

بدأت عصور ما قبل التاريخ مع ظهور أول آثار الوجود الإنساني. وظهرت منه أربعة أنواع بادت ثلاث منها، هي نوع القرد البشري الذي ظهر في جنوب وشرق أفريقية قبل ١٧٥٠٠٠٠ سنة مضت، ونوع الإنسان "القرد المنتصب القامة" الذي عاش قبل ٥٠٠٠٠٠ سنة مضت، ونوع الإنسان نياندرنال الذي عاش في الفترة ما بين ١٣٠٠٠٠ – ٣٥٠٠٠ سنة مضت. أما النوع الرابع فهو الإنسان العاقل الذي يعمر الكرة الأرضية الأن[٩]، ويتطابق العصر الحجري القديم من الناحية الجيولوجية مع العصر الجليدي (البلايستوسين) الذي حدثت فيه أربع زحفات جليدية في المناطق الشمالية من نص الكرة الشمالي، انتشر فيها الجليد حتى خط عرض ٤٥ درجة شمالا في قارة أوروبا وأمريكا الشمالية. أما في المناطق الجنوبية ومنها الوطن العربي الممتد أسفل خطوط الجليد فكانت الأمطار تهطل بغزارة مما جعل المناطق التي تسمى بالصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العرب مناطق تتمتع بالمياه الوفيرة والأراضي الخضراء التي تسرح فيها الحيوانات، وفي حقب الدفء التي كانت تتخلل عصور الجليد في المناطق الشمالية كانت المناطق الجنوبية تشهد فترات جفاف نسبية على نحو ما نراه اليوم[١٠]، وعاش أشباه البشر والبشر في هذه العصور الحجرية في الكهوف والملاجئ

الجبلية والغابات على جمع الجذور والبذور وأثمار الفواكه وعلى صيد الأسماك والحيوانات مثل الفيل القديم والخيول البرية ووحيد القرن والدب والثور البري والماعز البري والخنزير البري وأنواع من الوعول والغزلان والأرانب والطيور، ونظرا لطول هذا العصر الذي شغل العصور الجليدية كلها، فقد قسمه المختصون إلى عصر حجري قديم أسفل وأوسط وأعلى وقسموا الأسفل إلى ثلاثة عصور ثانوية هي عصر الآلات الحصوية الذي سبق العصر الأنبيلي والعصر الأنبيلي والعصر الأشمولي[١١].

وقسموا العصر الأوسط إلى عصرين هما العصر المليفولونزي والعصر الموستيري، وقسموا العصر الأعلى إلى ثلاثة عصور ثانوية هي العصر الأوركنيشي والسولتيري والمنمدليني، ومما يجدر ذكره أن هذه الأسماء هي أسماء كهوف أوروبية وجدت فيها آثار العصر الذي تمثله لأول مرة، وإن الآلات التي اكتشفت فيها رتبت بحسب طريقة صناعتها مع ملاحظة مبدأ تعاقب الطبقات[١٢].

أولا: العصر الحجري القديم :

١- العصر الحجري القديم الأدنى: ٢٥٠٠٠٠٠- ٢٠٠٠٠٠ :

وتعتمد معرفتنا بحضارة العصر الحجري القديم في اليمن على الآلات والأدوات الحجرية والعظمية وغيرها، وعلى عظام الإنسان والحيوان وعلى بقايا النباتات الطبيعية التي وجدت في حصاء الدرجات النهرية وفي الكهوف ومواقع الاستقرار الأخرى، وبصرف النظر عن الاختلاف في الزمان والمكان يمكن القول إن إنسان العصر الحجري عرف استخدام النار منذ أيام إنسان الصين وعاش على جمع الأغذية النباتية، وعلى صيد الأسماك والحيوانات والطيور، ولم يكن لدى هذا الإنسان زراعة ولا حيوانات داجنة ولا بيوت، وربما اتخذ من مانعات الرياح الخشبية ما يكسر بها حدثها فأقام خياما وأكواخا بدائية واحتل الكهوف، ولا ريب في أن ملابسه كانت من الجلود وألياف النباتات لا من المنسوجات، وكانت أدواته من الحجارة والعظام والخشب لا من الفخار والمعادن، ونكاد لا نعرف عن نظامه الاجتماعي ولا دينه ولا حياته الفكرية إلا ما يمكن استخلاصه من النقوش التي تركها على جدران الكهوف أو في المقابر، وهي تشير إلى الاعتقاد بالسحر وبنوع ما من حياة أخرى بعد الموت[١٣].

ونجد أن الصورة التي رسمتها ألآثار والنصوص في اليمن على الإنسان القديم أصبحت أكثر وضوحاً في عصر البلاريسترسين الأعلى، ففي هذا الوقت تحسنت وتعددت الآلات والأدوات وازداد تعاون الإنسان مع بني جنسه وأصبح قدر على درء خطر الحيوانات المفترسة. وأحسن الجماعات التي نعرفها ممن سكنت العالم القديم على هذا المنوال هي جماعات إنسان لياندرتال الذي انقرض، وقد وجدت في السنوات الأخيرة في فلسطين وإندونيسيا وشبه جزيرة العرب هياكل عظمية لمخلوقات تظهر فيها ملامح نياندرتالية اعتبرها البعض مرحلة في تطور الإنسان العاقل، على حين عدها آخرون تطورات جانبية شنت عن الجنس البشري الرئيس [١٤].

وقد كانت آلات الإنسان في ذلك العصر وأدواته أكثر تنوعا وفاعلية مما كانت عنه لمن سبقه، وتشمل تلك الآلات التي سميت آلات موستيرية أسلحة ذات اختصاص مثل رؤوسي السهام والرماح والسكاكين والقاشطات ومعظمها صنعت من الشظايا. وظهر أن عصر إنسان نياندرتال شهد زيادة في السكان فقد وصلنا من مواقع العصر الحجري القديم الأوسط في أوروبا وكثير من الدول خمسة أضعاف من الهياكل العظمية ما أكتشف في مواقع العصر الحجري القديم الأسفل، ولكن يبدو أن نوع نياندرتال وتقاليده الصناعية قد اختفت في نهاية المرحلة الأولى من العصر الجليدي الأخير وظهر الإنسان العاقل في العصر الذي تلاه وهو العصر الحجري القديم الأعلى(١٥).

وبحسب الدراسة التي نُشرت هذا الشهر بصحيفة (PLOS One) فإن اكتشاف هذه القطع الأثرية تم في عام ٢٠٠٤ في وادي صنعاء بحضرموت؛ لكن أول ذكر لهذا النوع من الأحجار في البلاد يعود إلى الستينيات من القرن الماضي، حين اكتشفت في منطقة "حبروت" في محافظة المهرة اليمنية المحاذية لحضرموت من الجهة الشرقية وحدود عمان من الجهة الغربية، وقد أشارت الدراسة أيضاً إلى اكتشافات مماثلة في سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة(١٦)، ونجد أن جماعات هذا العصر الجديد تعتمد في معيشتها على الصيد والجمع والالتقاط، غير أن آلاتها تحسنت وتنوعت بإضافة اختراعات جديدة أهمها قوس السهم وقاذفة الرمح والحربة، وساعد القوس على زيادة هدف الرمي، و ساعدت القاذفة على ذلك وعلى صحة إصابة الهدف، وبالإضافة إلى الحجر والخشب سيطر الإنسان على مواد أخرى وخصة العظم وقرون الوعول والتنيوس وعاج الفيلة وكانت هذه وحتى الحجارة تثقب بالمثقب الدوار، وهو اختراع جديد أيضاً، ويظهر أن جماعات العصر الحجري القديم الأعلى لم تكن في عزلة تامة عن بعضها، وكان لتبادل السلع فيما بينها أثر في تبادل الأفكار، واستمر أهل هذا العصر على احترام الأموات وعلى إقامة الطقوس لهم مثلما فعل النياندرتاليون قبلهم، وكانت قبورهم تحوي آلات وأدوات ذات زخارف فنية(١٧).

وعرف إنسان العصر الحجري أن بعض الحجارة أحسن من غيرها لصنع الآلات بالتقشير والتشطية والتلثيم فاختار الأحجار التي تكسر بانتظام مثل الصوان والزجاج البركاني والحجر الكلسي والحجر الرملي والأحجار البركانية كالبازلت والرماد البركاني، وهذه الأنواع الصلبة ولكنها سهلة التقشير وتظهر فيها حافة حادة كالشفرة، وكان حجر الصوان أكثر الأحجار استعمالاً ولكن الزجاج البركاني أفضل منه، واستخدم الإنسان العظم في صنع الآلات منذ أقدم العصور، وحتى مواقع العصور التاريخية لا تخلو من الآلات والأدوات العظمية، ويصعب نحت أو حفر العظام بسكين من حجر الصوان، ولذلك كانت الآلات العظمية في المراحل الأولى تصنع بواسطة التكسير وفي أواخر العصر الحجري القديم، صنعت بالحفر والتقشير والنشر والصقل. وصنع الإنسان القديم رؤوس الرماح وقاذفاتها وحاملات السهام والآلات الزراعية والأدوات المنزلية من الخشب ولكنها اندثرت بمرور الزمن بسبب الرطوبة والأملاح في تربية المواقع الأثرية، ولم يصلنا إلى القليل المتحجر أو الذي حفظ في ظروف جافة(١٨).

فقد اكتشفت آثار العصر الحجري القديم الأدنى في اليمن أول مرة على يد كاتون تومبسون عام ١٩٣٨م في موقع حريضة بوادي عمد أحد فروع وادي حضرموت ومن المواقع التي تعود الى هذه الفترة أيضا موقع جبل لحج وكهف القزة الذي اكتشفه عام ١٩٨٤م في أثناء أعمال المسح الأثري التي أجرته البعثة الروسية اليمنية المشتركة، وأن معظم ما نعرفه عن آثار اليمن في العصور الحجرية وصلنا من أعمال المسح والتنقيبات الأثرية التي جرت في السنوات الأخيرة، والمعلومات المنشورة تتناول وصف الآلات الحجرية التي التقطت من مواقع كثيرة دون أن تكون معها بقايا عظام بشرية أو حيوانية أو ترافقها مخلفات نباتات طبيعية. وتحديد أزمان تلك العصور يعتمد بالدرجة الأولى على طريقة صنع الآلات، وشهد العصري الحجري القديم بواكير النشاط الحضاري للإنسان البدائي في المناطق الصالحة في اليمن للإقامة، ويعد من أطول مراحل حياة بني البشر حيث يمثل ما يقرب ٩٥٪ من عمر الإنسان على وجه الأرض، وتمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم اليسيرة المتمثلة في تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد(١٩).

ورصد في أثناء المسح الذي جرى في سنة ١٩٣٩ في المنطقة الغربية من اليمن ٢٦٧ موقعاً كانت ٦٤ منها تعود إلى العصر الحجري القديم، ومن هذه المواقع كانت عشرون موقعاً أشولية تعود الى العصر الحجري القديم الأسفل وثلاثة وعشرون موقعا موستيرية تعود للعصر الحجري الأوسط، وموقعان تختلط فيهما تقاليد الصناعة الأشولية والموستيرية، وبالإضافة إلى ذلك وجدت عشرة مواقع متعددة المكونات أي أنها تضم قطعاً تعود إلى عصرين أو ثلاثة عصور معاً، وإلى جانب ذلك وجدت تسعة مواقع ينقصها التحديد الزمني، على الرغم من أنها تبدو وكأنها تنتمي للعصر الموستيري أو العصر الحجري القديم الأعلى، والغالبية العظمى من مواقع العصر الحجري القديم في هذه المناطق تتعود إلى مراحل مبكرة وجميع القطع التقطت من على سطح الأرض، ولم يكتشف أي منها بواسطة التنقيب ولذلك نستند عملية تأريخ المواقع الى طريقة أو نمط صناعة الآلات الحجرية[٢٠]، ففي شتاء عام ١٩٣٨ قامت السيدة G. Catonthompson باكتشاف أول وجود تاريخي للعصر الحجري القديم استنادا الى الدراسات الجيولوجية وتحليل الأدوات الحجرية، وذلك على إثر نتائج المسح الأثري لوادي حضرموت[٢١]، وفي الشطر الجنوبي كذلك، قامت بعثة سوفيتية بمسح وتنقيب وادي حضر موت وروافده مرة أخرى وذلك في مطلع العام ١٩٨٣م، إن أكدت هذه المسوحات وجود استيطان بشري في فترة ما قبل التاريخ بنمط العصر الحجري القديم الأدنى بإكتشاف أدوات حجرية تم العثور عليها على سطح الأرض، و أكدت أيضاً وجود استيطان في عصر الهولوسين لاسيما في موقع "حاباروت" الذي اكتشف في المهرة شرق حضر موت والذي يعتبر أول موقع ذي طبقات أثرية يكتشف في هذه المنطقة الذي تنتمي أقدم مستوياته إلى عصر الهولوسين الأوسط[٢٢].

في بداية الثمانينيات باشرت بعثة إيطالية المسوحات المنتظمة في الشطر الشمالي من اليمن إذ وضحت وجود استيطان بشري يعود إلى عصور ما قبل التاريخ في منطقة تهامة وفي الجبال على أطراف الصحراء الوسطي، بوجود بعض الأدوات الحجرية، تعود الى العصر الحجري القديم على السطح خارج الطبقات الأثرية Stratigraphie كتلك التي وجدت في الشطر الجنوبي. و حددت أيضا مواقع استيطان في مناطق صخرية أخرى في الشطر الشمالي على وجه الخصوص في جبال خولان وجنوب شرق صنعاء[٢٣]، منذ عام ١٩٩٦م استطاعت إحدى البعثات، دراسة عينات للأحواض البحرية القديمة، في صحراء رملة السبعتين وحصلت على أول تاريخ يخص البيئة القديمة، ومنذ ذلك الحين أصبحت الأبحاث الأثرية تقام في إطار واحد من البحر الأحمر وحتى حدود ظفار في الشرق[٢٤].

٢- العصر الحجري القديم الأوسط (٢٠٠٠٠٠- ٤٠٠٠٠ق.م)

إن المواقع الأشولية العشرين وجدت فوق مصاطب متاخمة للجبال، وتبين من دراسة الآلات أن أكثرها فؤوس يدوية سواطير وأطراف منقارية الشكل وأدوات ثلاثية السطوح ذات حدين ومقاشط ذات حد جانبي وأدوات للفرم وقليل من آلات النقش والتثقيب والشكاكين وبعض آلات العصر النيفولوازي، وأكثر الآلات هي آلات مصنوعة من نواة الحجارة أو الشظايا، وجدت بعض هذه المواقع في منطقة عفيف، ووجد موقع واحد في جنوب شرق الدواومي، أما تاريخ هذه الآلات فتراوح بين ٢٠٠٠٠٠ و٧٥٠٠٠ سنة مضت، وعثر على آلات هذا العصر في الجوف، وفي وادى تنثيت ومنطقة بئر حما ووادي فوج في المنطقة الجنوبية الغربية، وفي مرتفعات عسير وجد عدد من مواقع هذا العصر في ظهران الجنوب بوادي الحصن وإلى الجنوب من خميس مشيط وفي جنوب البرك وشمال الشقيق ومناطق الحسم شرقي (أبو عريش) على ساحل البحر الأحمر[٢٥].

وعثر على ثمانٍ وخمسين من فأساً والسواطير في موقع قونيسة بني عدنان في وادي الدواسر، وفي منطقة الإحساء عثر على عدة مواقع منها تل ذراع القصب وموقع صوان الضابطية وجدت فيها فؤوس يدوية وسواطير وقاشطات ضخمة[٢٦]، وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الوجود البشري المبكر في أجزاء متفرقة من العالم القديم يفوق التقديرات الأولية لمواقع الاستيطان في عدد من المواقع الأثرية، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في وضع منطقة جنوب غرب آسيا ضمن خريطة انتشار السلالات البشرية المبكرة، ولاسيما أن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة يتوسط العالم القديم، وتذهب هذه الدراسات إلى القول باحتمال وجود مزيد من الأدلة الأثرية الدالة على الاستيطان البشري المبكر. واتفق مع هذا الرأي ولاسيما فيما يتعلق منها

بالجزيرة العربية في اليمن تحديداً التي ما تزال التنقيبات الأثرية فيها في مراحله الأولى، أن المسوحات الأثرية لم تغط أجزاءها كافة . ومن هنا أضاف الدراسات اعتماداً على رأي الباحثين أن وصول الجامعات البشرية إلى قارة آسيا بصفة عامة والجزيرة العربية بصفة خاصة تم عبر طريقين رئيسيين الأول: كان عبر شبه جزيرة سيناء والذي ربما نجم عن ضغوط بيئية أو غيرها والثاني، يرجح أن تكون الجماعات البشرية المبكرة، والتي عادة ما تتكون من مجموعات قليلة العدد، قد تمكنت من الوصول إلى الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية عبر مضيق باب المندب ومن المعلوم أن الدراسات الحديثة قد دلت على أن الإنسان ظهر لأول مرة على وجه الأرض في جنوب أفريقيا ثم أخذ ينتقل تدريجياً وببطء شديد نحو الشمال، ولم يصل إلى الشرق الأوسط إلا منذ نصف مليون سنة[٢٧].

كانت نتائج الأعمال الأثرية التي أجريت في منطقة باب المندب والمناطق المجاورة لها وفي وادي حضر موت قد قدمت دلائل علمية ومادة أثرية عن الجنس البشري (هومو إريكتوس) في مضيق باب المندب من إفريقيا إلى آسيا تفيد في تحديد أماكن إقامته الأولى بعد خروجه من إفريقيا[٢٨]، ووفقاً للمعلومات والدليل الأثري الذي عثر عليه في هذه المناطق المذكورة؛ يمكن تحديد مكان إقامته الجديدة إذ تظهر أنه كان في منطقة باب المندب في نطاق تعز، ثم تحرك منه إلى منطقة حضر موت وربما إلى أماكن أخرى في اليمن منها مارب وفقاً للدليل الأثري؛ وأن مكان إقامته في نطاق تعز يفرض أن يكون استمراراً وامتداداً لاستيطانه الأول على امتداد المسار الجيولوجي لصدع الوادي العميق – محور (أولدوا)، (توركانا)، (أومو)، (أواش) – إلى منخفض (عفار) بمحاذاة البحر الأحمر، والذي يقابله مباشرة "نطاق تعز" على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر: في قارة آسيا، والأقرب لقارة إفريقيا[٢٩]، السجل الأثري في نطاق اليمن يحتوي على أدلة ومعلومات أثرية عن مواقع الاستيطان والصناعات الأشولية في العصر الحجري القديم، جمعت من مواقع عثر عليها في مناطق السهول الغربية بين الشريط الساحلي الموازي للبحر الأثري والسهول الجبلية، وفي منطقة خرز التي تقع بمحاذاة مضيق باب المندب وخليج عدن. فهذه المواقع احتوت على صناعات حجرية ممثلة لأكثر من مرحلة استيطانية، اثنتان أو ثلاث مراحل استيطانية من فترة العصر الحجري القديم الأوسط، ما عدا ثلاثة مواقع استوطنت لفترة واحدة ربما في العصر الحجري القديم الأسفل (قبل الأشولية)، وموقع واحد يحتمل أنه استوطن في مرحلتي العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط[٣٠]، وتتكون مجموعات الأدوات الحجرية التي عثر عليها في هذه المواقع من الفأس اليدوي، ونويات، وأدوات ثنائية وأحادية الشطف، ومثاقب، ومكاشط جانبية، ومكاشط مستدقة الرأس، ورقائق، وأدوات مسننة، وسكاكين. ومجموعات الأدوات الحجرية تلك تم تصنيفها وفقا للبِلى وطريقة الصنع والحجم، فأعطت تواريخ تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل (ما قبل الأشولية، والأشولية المتطورة) والعصر الحجري القديم الأوسط (أشولية متأخرة)[٣١].

بعض هذه الأدوات الحجرية وجدت ممثلة للصناعات الأشولية المختلفة، بعض الأدوات الحجرية التي جمعت من مواقع منطقة باب المندب الأدوات كانت كبيرة الحجم، الندب عليها عميق جراء التشظية ومغطى بلون صحراوي غامق وسميك، ولم تكن مصنوعة بكاملها بواسطة الطرق بحجرة أخرى ثقيلة[٣٢].

٣-العصر الحجري الاعلى (٤٠٠٠٠- ١٥٠٠٠ ق.م):

والبعض الآخر منها كان من فترة العصر الحجري القديم الأعلى وكانت أصغر حجاً ولونها الصحراوي أصبح مع الزمن خفيفا، ليس بين هذه الصناعات الحجرية صناعات من فترة أولدوا؛ لكن هذا لا يعني أنها غير موجودة في هذه المنطقة، فالمساحات التي درست كانت صغيرة، وإذا تم توسيع مناطق البحث الأثري لتشمل الوديان والسهول الداخلية في المرتفعات الجبلية في هذا النطاق ربما يعثر فيها على الصناعات الحجرية الأقدم. أما في حضر موت فقد كشفت الأعمال الأثرية المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ عن وجود صناعات مشابهة لصناعات أولدوا في إفريقيا[٣٣]، فقد عثر هناك على عدد كبر من مواقع العصر الحجري القديم؛ خمسة منها عثر عليها في وادي دوعن، منها ثلاثة مواقع كانت هي الأهم، هي: كهف (القوزة) وكهف (شرحبيل)، وكهف (الأميرة)، احتوت هذه المواقع على صناعات مشابهة لصناعات أولدوا[٣٤]، وهذا يدل على أن الحركة الأولى للبشرية قد تم عبر طريق الانتقال المائي الجنوبي وهو الطريق من إثيوبيا والقرن الإفريقي

عبر مضيق باب المندب الذي يمثل مدخل البحر الأحمر الذي يفصل إفريقيا عن آسيا ثم إلى شبه الجزيرة العربية ثم شبه القارة الهندية(٣٥).

ومن أجل التثبت من هذه الفرضية قامت البعثة اليمنية – الأمريكية بمسوحات تغطي مساحة حوالي ٢٤٧٥ كم٢، كشفوا فيها عن ٦٧ موقعاً أثرياً على السطح يعود أغلبها إلى العصر الحجري القديم الأعلى، ثم قاموا بحفر اختباري إلا أنه لم يكشف عن عمق طبقي لسبب ضحالة عمق التربة التي أزاحتها التعرية الرياحية، ومن ثم تمكنوا من جمع الآت حجرية من السطح، كانت مصنوعة من الريولايت، البازلت والكوارتزيت، وبما أن البقايا الأثرية التي جُمعت كانت من السطح لذا لا يمكن إيجاد تاريخ محدد لها، وعليه صنفت بالمقارنة على ما أمكن تاريخه في شرق أفريقيا، وذلك اعتمادًا على الشكل، وطريقة الصناعة، وعلى هذا الأساس أمكن تصنيفها إلى نوعين من الصناعات المميزة لهذه الفترة: الأولى، تعود إلى صناعة الأولدوفاي المبكر وتضم انواعاً كبيرة من آلات قاطعة والثانية تعود إلى العصر الأشولي وهي تضم الفؤوس اليدوية)(٣٦)، وبذلك تمكنوا من الوصول إلى استنتاج مفاده، وجود بشر في شرق وغرب آسيا في حدود ١.٨ مليون سنة، و أن المخلفات الأثرية للمواقع حول باب المندب تتفق تماما مع المواقع المبكرة للإنسان القديم من شرق أفريقيا، وهذا يفترض بالضرورة انتقالا أقدم من أفريقيا عبر باب المندب لا يقل عن ١.٩ – ٢ مليون سنة على شكل موجات بشرية، ولهذا ربما كانت طريق الإنسان من أثيوبيا والقرن الأفريقي عبر طريق " باب المندب" ومنه إلى شبه الجزيرة العربية ثم عمان وإيران وشبه القارة الهندية هو الطريق الأقصر والمفضل بوصفه يشكل الاستمرارية والامتداد الطبيعي لحركة الإنسان القديم المستوطن في الوادي المتصدع بشرق أفريقيا من أولدوفاى، تركانا، أُمو، أواش و جيبوتي، وجدير بالذكر أن المواقع المبكرة في حضرموت التي وصفتها البعثة الروسية ١٩٨٣م ربما تمثل استيطاناً بشرياً متأخرًا لهجرة بشرية إلى العربية الجنوبية الغربية، عبر باب المندب، وأن تاريخها يعود إلى حوالي مليون سنة(٣٧).

النتائج:

(١)ان اليمن في هذه الفترة كانت منطقة مأهولة بالسكان بدليل ذلك هو الآثار المادية التي وجدت والتنقيبات الاثرية التي اجريت على مناطقها

(٢) هذه الادلة المادية تبرهن على نفي نظرية الفجوة الثقافية التي نادوا ها بعض علماء الاثار الغربيين حيث أكدو في نظريتهم على عدم وجود عصور ماقبل التاريخ في اليمن وبعض المناطق الاخرى لكن الاثر المادي والبعثات التنقيبية نفت كل ذلك

(٣) العصر الحجري القديم وتقسيماته في اليمن في الحقيقة انه غير ثابت يحتمل في السنوات القادمة تعطينا التنقيبات فترات زمنية اقدم منها لذلك وحتى العصور الحجرية الاخرى فنحن نعتمد على آثاراً مادية مكتشفة

الهوامش:

(1) Adams R.M. (1957). Settlements in Ancient Akkad. Archaeology, 10,270–273٠٠ .

(٢) ديمتري برامكي، الإنسان موجود في الشرق الأوسط من نصف مليون سنة– العالم العربي في العصر الحجري، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص٥٥.

(٣) . مصطفي كمال عبد العليم، لماذا التاريخ القديم، المنهل، المجلد ٤٧، العدد٤٤٦، سنة ٥٢، ١٩٨٦، ص ٢٠– ٢٨.

(٤) محمد عبد النعيم، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، تعريب عبد الرحيم محمد خبير، مؤسسة الجريسي للتوزيع، والإعلام، الرياض، ١٩٩٥، ص ٧٧.

(٥) عبد الله بن محمد الشارخ، رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية، العصور، مجلد ١٣، الجزء الثاني، يوليو، ٢٠٠٣/ جمادي الأول ١٤٢٤، ص ٤٥– ٤٩.

(٦) ديمتري برامكي، الإنسان موجود في الشرق الأوسط من نصف مليون سنة–العالم العربي في العصر الحجري، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٧) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٦.

(8) Haviland, W.A, Human Evoluation and Prehistory, 4th, E, 1997, p. 168.

(9) Adams R.M. (1960). Early Civilizations, Subsistence and Environment. In city invincible: an Oriental Institute Symposium. Edited by Kraeling C.H. and Adams R.M. Chicago, University of Chicago Press. P. 78.

(١٠) تقي الدباغ ووليد الجادر، عصور ما قبل التاريخ، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٥.

(11) Wright , H. T., and G. A. Johnson.,(1975), Population, Exchange, and Early State Formation in Southwestern Iran, American Anthropologist, Volume77, Issue2, PP.267–289.

(12) Wilkinson, T.J, (2000), Regional Approaches to Mesopotamian Archaeology: The Contribution of 210 Archaeological Surveys, Journal of Archaeological Research, Vol. 8, No. 3.

(١٣) علي شحيلات وعبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، عصور ما قبل التاريخ الألف الثامن ٢٨٠٠ ق.م، دار الكتاب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص ٧٨.

(١٤) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، ١٩٨٥، ص ٦٠– ٦٥.

(15) Bealdwood, R., The Near East and the Foundations for Civilizatiom, 1952, p. 26, 30, fig. 14, 144.

(16) https://www.qposts.com/

(١٧) أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٥٧، ص ٥٠.

(18) Kroeber, A., Anthropelogy, 1948, p. 633– 642.

(١٩) سعد بن عبد الله الصويان، ثقافة العصر الحجري القديم، العصور المجلد السادس، الجزء الأول، ١٩٩١، ٧–٨.

(٢٠) يوريوس زارينس وزملاؤه، التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطي، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، إطلال، العدد الثالث، ١٩٧٩، ص ١٥.

(21) Caton–Thompson, 1938: Caton– Thompson, Gardner, 1939.

(22) Amikhanov, 1994– 1996: GIN 8159: 9560 + 120 Bp, Cal BC– 9253– 8626 مستوى سفلي لموقع خباروت.

(23) East and West, Jung, 1989, 1990.

(24) Abdulameer Al Dafar .(2015) , Shadow states: the archaeology of power in the marshes of southern Mesopotamia.Unpublished PhD thesis Stony Brook University, US.

(٢٥) الأطلال، العدد الخامس، ١٩٨١، ص ١٥- ١٦.

(26) Adams R.M. (1957). Settlements in Ancient Akkad. Archaeology, 10,270–273.

(٢٧) عبد الله بن محمد الشارخ، رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية، العصور، مرجع سابق، ص ٤٥- ٤٩.

(28) Weiss, H., and Courty, M.-A, (1993), the genesis and collapse of the Akkadian empire: The accidental refraction of historical law. In Liverani, M. (ed.), Akkad: The First World Empire, Sargon SRL, Padua, Italy, PP 131-155.

(29) . Fedele F: 1992, Zooarchaeology in Mesopotamia and Yemen: AComparative History, Origini, Preistoria protostoria delle civilta antiche 16, pp 49- 93.

(٣٠) عبده عثمان غالب، تهامة في عصور ما قبل التاريخ وصلاتها الحضارية بشرق أفريقيا، مجلة القلزم للداسات الآثارية والسياحية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر جامعة شندي، العدد ٢، ٢٠٢١، ص ٤١.

(31) Fattovich, R.: The late prehistory of the gash Delta (Eastern sudan), In 1. Krzyzaniak and M KKObusiewucz (eds), Late Prehisory of the Nile Basin and the Sahara, p 459- 468.

(32) Whalen N. and pease D. W.: Archaeological Survey in Southern Yemen, Paleorient 17/2: 127- 131, 1991.

(33) Whalen N. et al.: Excavation of Acheulean site Near Saffaqah in ad-Dawadmi 1983, Atlal 8-9.

(٣٤) أسامة عبد الرحمان النور وأبو بكر يوسف شلبي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، مالطا، منشورات ElGa، 1995، ص ٦٤٧.

(35) S.Gsell ,Histoire ancienne de l'Afrique du nord , t.1, éd.Ottozeller, verlag. Osnabruk,1972 ,p 241.

(٣٦) . محمد عبد الباري القدسي، البحر الأحمر، الموسوعة اليمنية المجلد الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ص ٤٧٦- ٤٧٨.

(37) CRASSARD R. & BODU P., 2004. Préhistoire du Hadramawt (Yémen) : nouvelles perspectives, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 34, p. 67-34.